Al-Adab Journal **Issue. No (155) (December) 2025**

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

The Prophetic Educational Approach in Instilling and Reinforcing Human Values: Selected Models from the Sunnah

Fatima Saeed Al Mansoori
PhD Student in Islamic Jurisprudence (Ijtihad) on Contemporary Issues at Mohamed Bin Zayed University for Humanities
um-hamad-uae@hotmail.com

Copyright (c) 2025 **Fatima Saeed Al Mansoori**

DOI: https://doi.org/10.31973/7zv5z843

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The research deals with the personality of the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, as the first teacher and role model for humanity, as he presented a unique model in education by consolidating moral values and promoting righteous behavior, and the research reviewed several basic axes, including the role of the Prophet, may God bless him and grant him peace, as a good example that embodies the values of Islam in his daily life, which made him a practical model for Muslims and others, and also dealt with the Prophet's educational methods, such as consolidating the faith to educate behavior, refinement by hinting without permission, persuasive dialogue, and obliging the scruples of religion. The study concluded that Islamic values constitute the basis that directs human behavior towards goodness, achieving balance and stability in society thanks to their comprehensiveness, proprietary and fitness, and their balance between the soul and the body. The Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) embodied these values in his daily behavior, adopting good example as an effective method of education, and using multiple methods that contributed to the establishment of a cohesive society based on justice and goodness, as well as promoting religious scruples and self-censorship among individuals. The study recommended the importance of strengthening the good example of the Prophet, may God bless him and grant him peace, by integrating it into educational curricula and educational activities that apply Islamic values in practice, and focused on the role of constructive dialogue and hinting as effective tools in guidance and persuasion, with the need to train teachers to use them skillfully, and also stressed the importance of religious scruples in controlling behavior and promoting self-censorship among individuals, and recommended the adoption of a gradual approach in education to facilitate the understanding of Islamic values and their gradual application in proportion to the capabilities of students, and the study stressed the need for Reviving prophetic behaviors in society through awareness initiatives and the media to promote Islamic values, while encouraging educational research and studies inspired by the Prophet's curriculum to support Islamic education, and called for the production of innovative educational and media materials that highlight the Prophet's values in an attractive manner that contributes to their dissemination and application on a large scale.

Keywords: The Educational Approach, Ethical Values, Prophetic Methods, Good Role Model

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

المنهج التربوي للنبي ﷺ في غرس القيم الأخلاقيّة وترسيخها (نماذج مختارة من السّنة النبوية)

الباحثة: فاطمة سعيد المنصوري
طالبة دكتوراه الاجتهاد الشرعي في القضايا المستجدة
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

(مُلَخَّصُ البَحث)

يتناول البحث شخصية النبي محمد ﷺ معلم أول وقدوة للبشرية، إذ قدم أنموذجًا فريدًا في التربية والتعليم عبر ترسيخ القيم الأخلاقية وتعزيز السلوك القويم، واستعرض البحث محاور عدة أساسية، منها: دور النبي ﷺ كقدوة حسنة تجسّد قيم الإسلام في حياته اليومية، مما جعله أنموذجًا عمليًا للمسلمين وغيرهم، كما تناول أساليب النبي التربوية، مثل: ترسيخ العقيدة لتربية السلوك، والتهذيب بالتلميح دون التصريح، والحوار المقنع، والإلزام بوازع الدين.

خلصت الدراسة إلى أن القيم الإسلامية تشكل الأساس الذي يوجّه السلوك الإنساني نحو الخير، محققة التوازن والاستقرار في المجتمع بفضل شموليتها وربانيتها وملاءمتها للفطرة، وتوازنها بين الروح والجسد. وقد جسّد النبي ﷺ هذه القيم في سلوكه اليومي، معتمدًا القدوة الحسنة كأسلوب فاعل في التربية والتعليم، واستعمل أساليب متعددة أسهمت في تأسيس مجتمع متماسك قائم على العدل والخير، فضلًا عن تعزيز الوازع الديني والرقابة الذاتية لدى الأفراد.

وقد أوصت الدراسة بأهمية تعزيز القدوة الحسنة للنبي ﷺ عبر إدماجها في المناهج التعليمية والأنشطة التربوية التي تطبق القيم الإسلامية عمليًا، وركزت على دور الحوار البناء والتلميح كأدوات فاعلة في التوجيه والإقناع، مع ضرورة تدريب المعلمين على استعمالها بمهارة، كما أكدت على أهمية الوازع الديني في ضبط السلوك وتعزيز الرقابة الذاتية لدى الأفراد، وأوصت بتبني منهج التدرج في التعليم لتيسير فهم القيم الإسلامية وتطبيقها تدريجيًا بما يتناسب مع قدرات الطلاب، وشددت الدراسة على ضرورة إحياء السلوكيات النبوية في المجتمع عبر مبادرات توعوية ووسائل الإعلام لتعزيز القيم الإسلامية، مع تشجيع البحوث والدراسات التربوية المستوحاة من منهج النبي ﷺ لدعم التربية والتعليم الإسلامي، ودعت إلى إنتاج مواد تعليمية وإعلامية مبتكرة توضح القيم النبوية بأسلوب جذاب يسهم في نشرها وتطبيقها على نطاق واسع.

الكلمات المفتاحية: الأساليب النبوية، القدوة الحسنة، القيم الأخلاقية، المنهج التربوي.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل نبيه محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، هاديًا ومعلمًا ومربيًا للأمة، فكانت سيرته العطرة مدرسة تربوية متكاملة، تزخر بالقيم الأخلاقية التي أسهمت في بناء مجتمع قوي ومتماسك، لقد مثّل النبي ﷺ النموذج الأسمى في الأخلاق، وكان قدوة حية ترجمت تعاليم الإسلام إلى أفعال وسلوكيات يومية، ما جعله مصدر إلهام للمسلمين عبر العصور.

تركّز هذه الدراسة على بيان الدور التربوي للنبي ﷺ في غرس القيم الأخلاقية وترسيخها في نفوس أصحابه، عن طريق أساليبه التعليمية المتنوعة، التي جمعت بين الحكمة والموعظة الحسنة، والحوار المقنع، والإلزام بوازع الدين، كما تسلط الضوء على منهجيته في تعديل السلوك وتوجيه النفوس نحو معالي الأمور، ليكون ذلك مثالًا عمليًا يُحتذى به في التربية والتعليم.

إن الحاجة إلى دراسة هذه الأساليب التربوية تزداد مع تعاظم التحديات الأخلاقية في المجتمعات الحديثة، إذ تقدم هذه الدراسة رؤية مستنيرة يمكن الاستفادة منها في معالجة القضايا التربوية المعاصرة، وبناء أجيال تحمل القيم الإسلامية الأصيلة.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا الموضوع من المكانة الفريدة التي يتبوأها النبي ﷺ في التربية والتعليم، إذ يمثل قدوة عملية وتجسيدًا حيًّا للقيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام، ولقد تميز منهجه التربوي بالجمع بين التعليم النظري والتطبيق العملي، مما جعله مؤثرًا في نفوس أصحابه وسائر الأمة. تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع في النقاط الآتية:

١. توثيق الأساليب التربوية التي استعملها النبي ﷺ في ترسيخ القيم الأخلاقية، مما يسهم في بناء مرجعية علمية تعتمد النصوص الشرعية والسيرة النبوية.
٢. توفير أنموذج تربوي شامل ومتكامل يمكن الاستفادة منه في معالجة القضايا التربوية والأخلاقية المعاصرة، وتعزيز القيم في نفوس الأجيال الجديدة.
٣. وسيلة لتعزيز القيم الإنسانية والإسلامية، والحد من السلوكيات السلبية.
٤. بيان دور القيم الأخلاقية في بناء الإنسان المتوازن القادر على المساهمة في بناء مجتمع متماسك، متسلح بالأخلاق الفاضلة.

مشكلة البحث:

تواجه المجتمعات المعاصرة تحديات أخلاقية متزايدة، تتمثل في انتشار السلوكيات السلبية وضعف الالتزام بالقيم الفاضلة، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، هذا

الوضع يبين الحاجة إلى إعادة النظر في المناهج التربوية وأساليب غرس القيم، واستلهام التجارب النبوية الفريدة التي قدمت أنموذجًا متكاملًا في ترسيخ القيم الأخلاقية وتعزيزها.

وتتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي: كيف أسهم النبي ﷺ عن طريق أساليبه التربوية في غرس القيم الأخلاقية وترسيخها لدى أصحابه، وكيف يمكن توظيف هذه الأساليب لمعالجة التحديات الأخلاقية في العصر الحديث؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها:

١. دراسة وتحليل الأساليب التي استعملها النبي ﷺ في ترسيخ القيم الأخلاقية، مثل: القدوة الحسنة، التوجيه بالتلميح، والحوار المقنع، وتعزيز وازع الدين.
٢. استخراج القيم الأخلاقية التي اعتمدها النبي ﷺ أركانا أساسية في بناء المجتمع الإسلامي.
٣. تقديم رؤية عملية مستمدة من الأساليب النبوية لمعالجة المشكلات الأخلاقية التي تواجه المجتمعات المعاصرة.
٤. توظيف منهج النبي ﷺ في التعليم والتربية كإطار يمكن الاستفادة منه في المناهج التربوية لتربية الأجيال الجديدة.

منهج الدراسة:

يشمل منهج الدراسة ما يأتي:

المنهج الوصفي التحليلي: عن طريق وصف الأساليب التربوية التي استعملها النبي ﷺ في ترسيخ القيم الأخلاقية، مع اعتماد النصوص النبوية والخطب مصادر رئيسة، وتحليل الأساليب التربوية النبوية، مثل: القدوة الحسنة، والحوار المقنع، والتوجيه بالتلميح، وتعزيز وازع الدين، واستخلاص القيم الأخلاقية المستنبطة منها.

المنهج الاستنباطي: استنباط الدروس التربوية والقيم الأخلاقية من السيرة النبوية، وتقديم رؤية عملية يمكن تطبيقها في التعليم والتربية المعاصرة.

المنهج المقارن (عند الحاجة): إجراء مقارنات بين الأساليب التربوية النبوية والمناهج التربوية الحديثة لتوضيح نقاط التميز والتكامل.

الدراسات السابقة والإضافة العلمية

رسالة ماجستير بعنوان: "بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ"، للباحث: حسين عبد الله حسين بانبيلة، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة الدراسات العليا، جامعة أم القرى، عام ١٤٠٨ هـ، ٢٠١٧، أظهرت الدراسة تميز

الخطابة النبوية كونها أداة تربوية فاعلة استعملها النبي ﷺ لمعالجة قضايا الدين والدنيا، وقد أكدت الدراسة أهمية ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، مثل: العمل، والصبر، واستقلالية التفكير، والواقعية، مع نبذ الاتكالية، كما شددت على ضرورة ربط السلوك بالجزاء الدنيوي والأخروي؛ لإحياء الضمير الإنساني، وحماية المجتمع من الانحراف والتفكك، مما يجعل هذه القيم أساسًا لبناء شخصيات قادرة على مواجهة متطلبات العصر. (بانبيلة، حسين، ٢٠١٧، بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ، رسالة ماجستير، نوقشت و أجيزت من كلية التربية بمكة المكرمة الدراسات العليا، جامعة أم القرى، بتاريخ ١٤٠٨/١١/٨هـ، ص٥)

دراسة بعنوان "الأساليب النبوية في تفعيل القيم الحضارية في المجتمع الإسلامي (قيم العلم والإتقان واحترام الوقت أنموذجًا)" للباحثين أسامة عدنان عيد الغنميين، خضير باعلي، وسعيد، أهمية القيم الحضارية ودورها في النهوض بالمجتمع الإسلامي، مع التركيز على قيم العلم، والإتقان، وإدارة الوقت في المنهج النبوي. اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي لاستعراض كيفية غرس النبي (صلى الله عليه وسلم) لهذه القيم وأثرها في تحسين المستوى الثقافي والمعيشي، وبناء مجتمع قوي متحرر من التبعية السياسية والاقتصادية، وخلصت إلى أهمية الاستفادة من الأساليب النبوية لتجسيد هذه القيم في المجتمعات المعاصرة. (الغنيمين، عدنان وباعلي، سعيد وخضير، ٢٠٢٠، الأساليب النبوية في تفعيل القيم الحضارية في المجتمع الإسلامي: قيم العلم والإتقان واحترام الوقت أنموذجًا، مجلة "دراسات – علوم الشريعة والقانون"، المجلد ٤٧، العدد ٣، الصفحات ١٢٣-١٣٦)

ولعلّ هذا البحث يمكن أن يقدم رؤية معاصرة لتفعيل هذه القيم، مستندة إلى منهجية تربوية تستخرج أساليب النبي ﷺ وتعيد صياغتها بما يتلاءم والتحديات الأخلاقية الحديثة، مع التركيز على تعزيز تلك الأساليب لبناء الشخصيّة متمثلة بالحوار المقنع، والقدوة الحسنة، وترسيخ العقيدة، وتقوية الوازع الديني، والسعي إلى معالي الأمور، وكل تلك الأساليب مدعومة بأمثلة تفصيلية من سيرته ﷺ وأحاديثه، علاوة على ذلك، تقدم الدراسة توصيات عملية، وشاملة لتعزيز القيم الأخلاقية في المناهج التعليمية، والعمل الاجتماعي، والتربية الأسرية، بما يضمن أن تكون قيمة علمية مضافة تسد الفجوات الموجودة في الدراسات السابقة.

المبحث الأول: مفهوم القيم الإسلامية وتصنيفها وخصائصها

نالت القيم اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ بداية الفكر الإنساني، فالإنسان تربطه علاقات بين الأفراد في مواقفه وتعاملاته وهو محتاج إلى القيم التي توجهه، وحينما يتخلى عن تلك

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

القيم أو لا تتضح له، فإنه يحدث صراع قيمي مجتمعيٍّ يفسد أيّ نظام بشريّ على وجه الأرض.

المطلب الأول: تعريف القيم لغة واصطلاحًا

هي الاستقامة على الطاعة، وفي الحديث: "قل آمنت بالله، ثم استقم"، القيمة: واحدة القيم، لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، يقال: قوّمت السلعة، وقيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه، ويقال: ليس لفلان قيمة: أي ليس له دوام وثبات على الأمر. (ابن منظور، ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر، ط٣، مادة: قوم).

ومما تقدم من تلك المرادفات يتبيّن أنّ مادّة "قَوَم" استعملت في اللغة العربية بمعان كثيرة منها: نظام الأمر وعماده، قيمة الشيء وثمنه، الاستقامة والاعتدال، الثبات على الأمر والاستمرار؛ ولعلّ أقرب هذه المعاني للموضوع الذي نحن بصدده هو: الثبات على الأمر والاستمرار على عمله، ومراعاته في جميع الأحوال.(المانع، صالح، ٢٠٠٥، القيم بين الإسلام والغرب (دراسة تأصيلية مقارنة)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ص ١٥)

عرفت القيم في الاصطلاح بتعريفات عدة، منها: مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه، ونقيس به، ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه" (زهران، حامد، ١٩٨٤م، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ص١٣٢) وعرفها المانع: "حكم يصدره الإنسان على شيءٍ ما مهتديًا بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك" (المانع، صالح، ٢٠٠٥، القيم بين الإسلام والغرب (دراسة تأصيلية مقارنة)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ص١٦).

وعرفها آخرون بأنها: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة عن تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع عبر التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية،إذ تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتلاءم مع قدراته وإمكانياته. (أبو العنين، خليل، ١٩٨٨، القيم الإسلامية والتربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٣٤-٣٥)

ولعل أقرب تعريف اصطلاحيّ للقيم على وفق ما تقدم، هو: "مجموعة من المبادئ والمعايير والمبادئ التي أقرها الشرع الحنيف، وارتضاها النّاس لتكون معيارًا ينظم حياتهم ويحفظ حقوقهم، في ظل مجتمع يأمن فيه المرء على ماله ونفسه وعرضه". (المانع، القيم بين الإسلام والغرب، المرجع السابق ص١٦).

المطلب الثاني: القيم ودورها في الحياة

القيم تمثل جوهر الحياة للأفراد والمجتمعات، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بدوافع السلوك والآمال والأهداف. يتعلمها الفرد ويكتسبها تدريجيًا من خلال التنشئة الاجتماعية، حيث تصبح جزءًا من إطاره المرجعي للسلوك، وفي سياق التفاعل الاجتماعي، يتعلم الفرد أن يفضّل بعض الأهداف والدوافع على غيرها، مما يعكس عملية تقويم مستمرة تجعل القيم جزءًا لا يتجزأ من شخصيته وسلوكه. (زهران، حامد، ١٩٤٨، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ص١٣٣)

ويمكن معرفة آثارها في التوجيه النفسي ويتمثل باختيار الأفراد الصالحين لبعض المهن أو المناصب مثل: القادة والاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين وغيرهم،إذ يكونوا بمثابة قدوة يستلهم الناس منهم القيم الأخلاقية الصالحة.)بانبيلة، حسين، ٢٠١٧، بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ، رسالة ماجستير، نوقشت وأجيزت من كلية التربية بمكة المكرمة الدراسات العليا، جامعة أم القرى، بتاريخ ١٤٠٨/١١/٨هـ، ص(٧٤-٧٦ كما لا يخفى دور القيم في العلاج النفسي،إذ يؤدي تصارع القيم لدى البعض إلى اضطرابات سلوكية يمكن ملاحظتها في حالات العصاب النفسي،فضلا عن ذلك، فإن الاختلاف في الدين أو الطبقة الاجتماعية أو المبادئ السياسية يزيد من احتمالية تعرض الأفراد للاضطرابات النفسية مقارنة بغيرهم.

كما أنّ القيم جزء لا يستهان به في الإطار المرجعي للسلوك في حياة الأفراد العامة والخاصة (الهاشمي، عبد الحميد، ٢٠٠٧م، المرشد في علم النفس الاجتماعي، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ص١٤٣(وتتجلى أهمية القيم في قدرتها على تكوين شخصية إنسانية متماسكة، كونها تُغرس في الفرد معاني الصدق والأمانة والإخلاص، فتجعله قادرًا على اتخاذ قرارات واعية ومسؤولة، إن القيم تضبط النفس وتمنع الانجراف وراء الأهواء، مما يُسهم في خلق أفراد يتحلون بالثقة بالنفس، والقدرة على تحقيق النجاح والتميز.

المطلب الثالث: تصنيف القيم

تم تصنيف القيم إلى أنواع عدة بحسب المحتوى على النحو الآتي:

القيم الدينية: والتي تعنى بالدين ومعتقدات البشر، وذلك عبر اهتمام الإنسان بالغيب، ومعرفة أصله ومصيره، واعتقاده في القوة الإلهية المهيمنة والمسيطرة على الكون الذي يعيش فيه، ويحاول أن يصل إليها باتباع تعاليم الدين الذي يعتنقونه من كل جوانبه؛ بالعمل والعبادة واتباع مبادئه.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

القيم النظرية: وتتمثل في السعي للوصول إلى المعرفة واكتشاف الحقيقة؛ فترى الإنسان يتخذ منحىً معرفيًا من العالم المحيط به، يسعى وراء القوانين التي تحكم الأشياء ليعرف كنهها، ويوظفها لتحسين حياته، وخدمته؛ والذين يتصفون بتلك السمات هم من الفلاسفة والعلماء. (زهران، حامد، ١٩٤٨، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ص١٣٣)

القيم الاقتصاديّة: هي التي تركز على الجوانب المادّية؛ وتظهر في تجاه الفرد إلى ما هو نافع؛ فيستغل البيئة المحيطة به؛ للكسب المادّي من الإنتاج واستثمار المال؛ والذين يتسمون بتلك القيم غالبًا ما تكون نظرتهم عمليّة متمثلة برجال المال والأعمال.

القيم الجمالية: وتعنى بالناحية الشكلية الجماليّة، إذ يميل الشخص الجماليّ إلى الإبداع الفنّي والابتكار، والتذوق الفنّي؛ وهم يتعارضون من أصحاب المبادئ المادّية.

القيم الاجتماعية: ويميل أصحابها إلى مساعدة الآخرين وخدمتهم، ويرون في ذلك سعادتهم، ويتصف أصحابها بالإيثار والتعاطف والرحمة)بانبيلة، حسين، ٢٠١٧، بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفى ﷺ، رسالة ماجستير، نوقشت وأجيزت من كلية التربية بمكة المكرمة الدراسات العليا، جامعة أم القرى، بتاريخ ١٤٠٨/١١/٨هـ، ص٥)

المطلب الرابع: خصائص القيم الإسلامية

هناك علاقة وثيقة بين القيم والعقيدة، فهما متكاملان، لا يوجد مجتمع مسلم من دون عقيدة التوحيد؛ ولو تغيرت العقيدة أو أصابها الانحراف لتزعزعت القيم وانهارت ،إذ يستحيل ثبات القيم وبقاؤها أو استمرارها من دون عقيدة إسلامية راسخة تحفظ المسلم، وتعلي قدره (المانع، مانع، ٢٠٠٥، القيم بين الإسلام والغرب (دراسة تأصيلية مقارنة)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ص١٥٢-١٦٤)

فالقيم هي خير وسيلة لتكوين فرد سويّ ومن ثمّ مجتمع خيّر، وحضارة إسلاميّة سامية، وهي حصن يحمي منجزات المجتمع الحضارية من الانحلال والانهيار؛ ويمكن حصر خصائص القيم الإسلامية، وأهم سماتها على النحو الآتي:

الربّانية: القيم مصدرها الأول في الإسلام هو القرآن الكريم؛ ولعل سمة الربّانيّة من أعظم سمات القيم الإسلامية وأسماها؛ فالوحي هو الذي خصصها وبيّن معالمها؛ والمسلم بدوره يتمسك بها ويتكيّف معها، فهي التي تقود الإنسان إلى خالقه، وتشعره بنعمة الله عليه، وتحرره من نير العبودية والشهوات، وترتفع به إلى قيم الخير والحق والجمال.

الشمول: لم تترك منحى من مناحي الحياة الروحية والجسدية، فردية كانت أم جماعية، إلا رسمت لها السبيل الأمثل للسلوك القويم.

العموم: فهي ليست مقتصرة على أفراد من دون غيرهم، أو زمن من دون زمن، فهي بمقدور كل إنسان أن يمارسها في جميع الأزمان وفي جميع الأماكن والأوضاع.

ملاءمتها للفطرة: لقد جاءت قيم الإسلام ملائمة للفطرية البشرية، والطبيعة الإنسانيّة، فهي تتواءم مع ميول الإنسان التي فطره الله عليها، ودوافعه النفسية التي جُبل عليها، وهي تراعي أحواله وظروفه؛ فلا تقع عليه المشقّة أو الحرج، أو يقع التصادم أو التخالف مع الفطرة.

الإيجابية: إن الحامل للقيم الإسلامية ليس صالحًا في نفسه فحسب، بل صالحًا لغيره، منفتحًا على أبواب الخير يتفاعل مع الآخرين، وينشر الخير في مجتمعه؛ وتلك الإيجابيّة مستمدّة من إيجابيّة الإسلام نفسه؛ فهو دين ليس من طبيعته العزلة أو السلبيّة، بل الانفتاح على الحياة وحركتها والتفاعل معها والتأثير فيها، وإصلاح النّاس وتقديم الخير للآخرين.

التوازن: لقد اتصفت قيم الإسلام بالتوازن، وتعني الجمع بين الأمر ومقابله في اعتدال واتساق من دون إفراط أو تفريط، توازن بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، توازن بين الحقوق والواجبات، فالأمة أمة وسط ليس فيها مغالاة ولا تقصير، تتوازن فيها مصلحة الفرد والجماعة.

الواقعية: القيم الإسلامية ليست ضربًا من الخيال الذي لا يتصل بالواقع؛ بل قيما راقية تتحقق في واقع الناس، إذ تتوافق تمامًا مع طبيعة الإنسان، فإمكانية تطبيقها في الحياة ممكن وسهل، فقد راعت تلك القيم قدرات البشر والفوارق بينهم، فاعترفت بالنوازع البشرية والضعف الإنسانيّ، وحاجات الإنسان المادّية، فهم ليسوا معصومين من الخطأ، فقيم الإسلامية اتسمت بالواقعية وإمكانية تطبيقها واستمراريتها على مرور الزمن) .المانع، صالح، ٢٠٠٥، القيم بين الإسلام والغرب (دراسة تأصيلية مقارنة)، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ص١٥٢-١٦٤)

المبحث الثاني: النبيّ المعلم الأول

يعدّ النبي ﷺ أعظم قدوة، ومعلم في تاريخ البشرية، بُعث ليكون خاتم الأنبياء، فكان رسولًا من عند الله، ورحمة للعالمين، وأعطى للبشرية أنموذجًا مثاليًا يُحتذى به في كل جوانب الحياة، فصفاته وأخلاقه وتعاليمه جعلت منه قدوة يحتذي بها المسلمون، وغير المسلمين على حد سواء.

المطلب الأول: النبيّ القدوة

جسّد النبي ﷺ منذ بداية دعوته، قيم الإسلام ومبادئه في سلوكه اليوميّ، فكان يتميز بالصّدق، والأمانة، والتّواضع، والصّبر، والحلم، والعدل، والرحمة، وقد تجلى ذلك في تعاملاته مع الناس بمختلف فئاتهم، سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء، مسلمين أم غير مسلمين،

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

عرف بالصادق الأمين قبل بعثته، وكان الجميع يثق به، حتى إنّ أعداءه لم يجدوا فيه كذبًا أبدًا، كان يخدم نفسه، ويعاشر الناس ويخالطهم، وكان يقول: "إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ".(ابن حنبل، أحمد، كتاب الزهد، ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص٩)

ومما لا شكّ فيه أنّ القدوة تعدّ من الأساليب التربوية الناجعة؛ فحينما يكون النبيّ ﷺ صورة واقعيّة، وأنموذجًا حيًّا، لدعوته، فهذا أوقع في النّفس، وأدعى إلى الاقتداء والتأسّي به، فالاتّباع عن طريق القدوة هو الأسلوب الأمثل والذي يلائم الفطرة، لقد كان ولا يزال أسلوب القدوة من أعظم الأساليب التي اتبعها النبيّ ﷺ في تبليغ رسالته.

والقرآن الكريم يؤكّد على منهج القدوة حينما أمر الله نبيّه أن يقتدي بمن تقدّمه من الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام:[٩٠]، فتمثّل النبي ﷺ في حياته وسمته، وكان كما وصفته السيّدة عائشة –رضي الله عنها– حينما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنُ" (ابن حنبل، مسند أحمد، ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج٤١، ص١٤٨)، كانت شخصيّة النبيّ ﷺ مثالًا حيًّا يمشي على الأرض، وأراد له الله تعالى أن يعيش حياة البسطاء، ويسرى عليه ما يسري على جميع البشر ليكون قدوة للعالمين، وأنموذجًا واقعيًّا لكل متطلبات الشريعة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا. انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا. تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴾ الفرقان: [٧–١٠]، فالنبيّ ﷺ واحد من البشر يحيا حياتهم، ويعاني تجاربهم؛ لأنّه في نهاية الأمر واحد منهم، يرتاد بهم الطريق إلى الله، فهو يعمل ليعيش، ويعمل لرسالته؛ والله سبحانه وتعالى لم يرد لرسوله ﷺ أن تكون له جَنّه أو لديه كنز؛ لأنه أراد له أن يكون قدوة كاملة لأمته، ينهض بتكاليف الرسالة، وفي الوقت نفسه يسعى لرزقه، كما يسعى أي رجل من أمته. وقد أكّد الله سبحانه وتعالى أن النبيّ ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر؛ وجعله المثل الأعلى للمسلمين، وجمع في شخصه الكريم كل ما تفرق من صفات الشخصية الكاملة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وهذا يعني أن الاقتداء بالرسول هو السبيل الموصّل إلى الله.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وتكمن آثار القدوة في أنّها تلبي حاجة وغريزة إنسانيّة تتمثل في المحاكاة والتقليد، يندفع إليها الإنسان تلقائيًّا تقليدًا لمن يحبّ، وكذلك فإنّ تأثيرها ينتقل من المُقتَدى به إلى المقتدي، سواء أكان ذلك مقصودًا أم غير مقصود، ومن آثارها أنّها دعوة غير مباشرة لتلك الطباع التي قد تأنف من التوجيه والنصح المباشر، كما أنها تتجاوز حدود اللغة في إيصال الرسائل التي يريدها الداعية من المقتدين به.

وقد كان لاقتداء أمتنا الإسلامية برسولها ﷺ ابتداءً من عصر الصحابة حتى زمننا هذا، دافع عظيم على الاستقامة، والتمسك بهذا الدّين، وما زالت خطب النبيّ ﷺ ومواقفه، تجسّد القيم، والمثل العليا، لمن يرجو الخير والنجاة في هذه الحياة.

في عصرنا الحالي، تبرز القدوة كأداة تربوية وإدارية فاعلة تلامس جميع جوانب الحياة، سواء في الأسرة أو التعليم أو العمل، وتستمد هذه الأداة أهميتها من النهج النبوي الذي جسّد القيم الإسلامية في سلوك عملي يومي، مما جعلها أنموذجًا حيًا للتطبيق، يُمكن للقادة والمعلمين والآباء أن يتبنوا هذه القدوة في حياتهم اليومية، فيكونوا مثالًا يُحتذى به في الالتزام بالقيم الأخلاقية كالصدق، والعدل، والشفافية، مما يُسهم في غرس هذه المبادئ في الأجيال القادمة بفاعلية وتأثير.

وتتجلى القدوة في الواقع المعاصر عبر تطبيق القيم النبيلة على مستويات عدة: في الأسرة، يمكن للآباء أن يكونوا نماذج تحتذى بالالتزام بالصلاة، والأمانة، واحترام الآخرين، مما يُكسب الأبناء سلوكيات إيجابية بالمعايشة، وفي التعليم، يظهر دور المعلمين في تعزيز القيم عبر الالتزام والانضباط، أما في القيادة، فبإمكان القادة السياسيين والإداريين تجسيد العدالة والشفافية في تعاملاتهم، ليصبحوا قدوة للمجتمع، كذلك، يمتد أثر القدوة إلى الحياة الاجتماعية والإعلام،إذ يتضح دور الأفراد والمؤثرين في نشر الإيجابية والالتزام بالأخلاقيات.

المطلب الثاني: النبيّ المعلّم:

لقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه تربية اجتمعت فيها قيم الإسلام ومبادئه؛ فهو المربّي الأفضل في التاريخ؛ خرجت من بين يديه خير أمّة في التاريخ، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: [١١٠].

فهي الأمة التي شملت كل أنواع الخير، وفي كل منحى لم يكن لأمة أخرى من الأمم، هذه الأمة التي أسست التاريخ الإسلاميّ كله، وأرست قواعده في الأرض بصورة فريدة لم

يسبق لها مثيل في التاريخ، إذ إنّها ثمرة تربية رسول الله ﷺ، وستظلّ هذه الأمة هي النموذج الذي تتطلع إليه الأجيال.

قدّرت المشيئة الإلهية أن تكون بلاد العرب مهبط الرسالة الإسلامية، وأن يكون العرب هم دعاة الخير، وقادة العالم إلى الحق الذي أراده الله –سبحانه وتعالى– ولكي يصل المسلون لهذه المنزلة، كانت مهمّة النبيّ ﷺ المعلم والهادي إلى الصراط المستقيم، ومن خلال النبيّ ﷺ انتقل العرب من محيط حياتهم الضيقة إلى رحابة العالم الفسيح، مبلغين رسالة ربهم، وحاملين مشاعل العلم الذي أيقظ البشرية من سباتها، وجهلها.

وقد جاء النبيّ بكتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يستطيع أحد من الجن او الإنس أن يأتي بمثله؛ ليلزمهم بالحجة البالغة، قال تعالى: ﴿قل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ على أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: [٨٨]، إن هذا النبيّ الأميّ الذي لم يدرس على أحد من البشر، استطاع محو أميّة البشرية وعلمهم أمور الشرع والعقيدة؛ ثم دعاهم إلى العلم والتّعلم.

كان النبي ﷺ معلمًا لأولئك الذين اتبعوه؛ كان يُعلمهم القرآن والسنة وأحكام الدين، كما كان يشجعهم على التعلم والاستزادة من العلم، فقد أرسل مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم إلى المدينة؛ ليعلموا الناس الدين، وفي غزوة بدر جعل فداء الأسرى أن يعلم كلّ أسير عشرة من الصبية القراءة والكتابة؛ لتكون فداءً له، وقد حثّ زيد بن ثابت على تعلم اللغات الأجنبية وكان ترجمانًا له، وحرص على تعليم النّساء ،وجعل لهنّ حظًّا من وقته يعلمهنّ ويعظهنّ؛ فعن أبي سعيد الخدريّ –رضي الله عنه– قال: قالتِ النِّساءُ للنبيّ ﷺ: "غَلَبَنا الرِّجالُ، فاجعَلْ لنا يومًا مِن نفسِكَ." فاستجابَ النبيُّ ﷺ لطلبِهِنَّ، ووعدَهُنَّ يومًا خاصًّا يَعِظُهُنَّ فيه. وعندما اجتمعَ معَهُنَّ، وعظَهُنَّ وأرشدَهُنَّ، وكانَ مما قالَ لَهُنَّ: "ما مِنْكُنَّ امرأةٌ تُقدِّمُ ثلاثةً مِن ولدِها إلَّا كُنَّ لها حِجابًا مِن النَّارِ" فاستفسَرَتْ إحدَى النِّساءِ: "وَاثنَتَين؟" فقالَ النبيُّ ﷺ: "وَاثنَتَين". (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ج١، ص ٥٠)

وقد أوصى ﷺ بطلب العلم، فعن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ قال: "طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ" (ابن ماجة، ٢٠٠٩م، سنن ابن ماجه، ت: الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ج١، ص١٥١) هذا الحديث يوضح أن طلب العلم ليس مجرد خيار، بل هو واجب ديني على كل مسلم ومسلمة، وقد بيّن ﷺ فضل العلماء ومكانتهم العالية في الإسلام، فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ : "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ" (ابن ماجة، أبو عبدالله محمد، ٢٠٠٩م، سنن ابن ماجه، ت: الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية–لبنان، ج١، ص١٥٠)

وفي بيان فضل العلماء، وقبول الهدى الذي جاء به ﷺ: ما رواه أبو موسى الأشعري– رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ج١، ص٤٢.)

" وكان ﷺ يشّجع على تعليم الآخرين ونشر العلم بين النّاس، فقد روى عبدالله بن عمر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ج٣، ص١٢٧٥)، وقد نهى ﷺ عن كتمان العلم، وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: " مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ، فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (ابن حنبل، أحمد، ٢٠٠١، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة – سوريا، ج١٣، ص١٨) وقد بيّن هذا الحديث خطورة كتمان العلم وضرورة نشر المعرفة بين الناس.

ومما تقدّم يتّضح لنا أن طلب العلم كان من أهم الأمور البارزة في خطبه وسيرته ﷺ، مما جعل العلم جزءًا لا يتجزأ من الحياة الإسلامية، وساهم به في بناء حضارة مزدهرة في العصور الإسلامية، تفوّقت على جميع الحضارات الأخرى.

وهذا النهج النبوي في التعليم يمثل أنموذجًا عمليًا لتطوير التعليم في واقعنا المعاصر، إذ يجمع بين العلم والقيم الأخلاقية، ويمكن للمعلمين والقادة أن يكونوا قدوة في الالتزام والانضباط، مما يعزز تأثيرهم الإيجابي على المتعلمين. فضلا عن أن دمج القيم الأخلاقية مع المعرفة الأكاديمية في المناهج التعليمية يُسهم في إعداد أجيال قادرة على مواجهة تحديات العصر بروح إنسانية متزنة، كما أن نشر ثقافة مشاركة المعرفة، كما أوصى النبي ﷺ، يعزز التعاون المجتمعي ويخلق بيئة تعليمية تفاعلية.

المبحث الثالث: منهج النبيّ في تربية وتوجيه أصحابه والمسلمين.

لم يكن النبي ﷺ معلمًا للشريعة فحسب، بل كان معلمًا للإنسانية، يربي الأجيال، ويؤسس للأخلاق الفاضلة، واستعمل في تعليمه أساليب متنوعة تتسم بالحكمة، والموعظة الحسنة، وكان يخاطب كل فرد بحسب فهمه واستعداده.

كان منهج النبي ﷺ في تربية أصحابه فريدًا ومتميزًا، ويعتمد أساليب وأسس تربوية عدة، ساهمت في بناء جيل قويّ من الصحابة، الذين نشروا الإسلام، وساهموا في بناء الحضارة الإسلامية، وفيما يأتي بعض الجوانب الرئيسة لمنهجه في تربية أصحابه.

المطلب الأول: السعي إلى معالي الأمور

لقد حثَّ النبي ﷺ أصحابه والمسلمين جميعًا على التحلّي بالهمّة العالية، والسعي إلى معالي الأمور، وذلك عبر العديد من الأحاديث والتوجيهات التي تشجع على الاجتهاد والطموح والتفوق في مختلف مجالات الحياة الدينية والدنيوية، لقد كان يشجعهم نحو الأفضل دائمًا في العبادة، والعمل، والعلم، والأخلاق. وقد حفلت سنّة النبيّ وخطبه بالكثير من المواقف التي تحث على الهمة العالية، منها:

أمر ﷺ أصحابه بالسّعي السعي إلى المعالي في العبادة، فعن أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– قالت: قال ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ" (التميمي، أبو يعلي أحمد، ٢٠١٣، مسند أبي يعلى الموصلي، دار الحديث – القاهرة، ج٦، ص٣٠٧) فهذا الحديث يحث المسلمين على إتقان العمل، مهما كان نوعه، والسعي لتقديم أفضل ما لديهم، وكذلك ما رواه أبو هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ" (المتقي، علاء الدين علي، ١٩٨١م، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة – سوريا، ج٢، ص٧٣) وهنا يتّضح كيف كان النبي ﷺ يشجع المسلمين على الطموح لأعلى المراتب حتى في الدعاء.

كما شجّع النبيّ ﷺ أصحابه وحفّزهم على العمل الجاد والاجتهاد، وعلى عدم التقاعس والكسل؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ"(الحجاج، مسلم، ١٩٥٥، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص٢٠٥٢)، فهذا الحديث يحث على الاجتهاد والاعتماد على الله في تحقيق الأهداف، وعن شدّاد بن أوس –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ" (الترمذي، أبو عيسى محمد، ١٩٧٥م، سنن الترمذي، مصطفى البابي الحلبي – مصر، ج٤، ص٦٣٨) وهنا نرى أنّ الحديث يدعو إلى التفكير المستقبليّ، والعمل الجاد في الحياة الدنيوية والآخرة.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

لقد كان يُنظر إلى الغنيّ الذي يملك الأموال الطائلة، والعبيد والخدم أنّه هو الرجل المهاب المطاع، والسيّد الشريف الذي يتطلّع الناس أن يكونوا مثله، فجاء النبيّ ﷺ وغيّر تلك الصورة ووجّه المسلمين إلى السّعي إلى معالي الأمور، وأسمى المقاصد؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال، قال رسول الله ﷺ: "لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣، صحيح البخاري، دار ابن كثير– دمشق، ج٥، ص٢٣٦٨) والنبيّ ﷺ يبيّن لنا الغنى الحقيقيّ الذي يجب السعي إليه، ليس في كثرة المال والعرض، كما يظنّ كثير من النّاس، ولكنّه في غنى النّفس، والهمّة العالية، والسعي إلى معالي الأمور؛ فالنّفس إذا استغنت عن المطامع، وطلب الدّنيا، عظم قدرها، وحصل لها من النّزاهة والشرف، ما لا يتحصّل عليه الأغنياء بأموالهم.

ولقد سعى النبي ﷺ إلى إخراج الناس من ضيق النظرة السّطحيّة، إلى سعة الرؤية القائمة على التحرر من الشهوات، ومطامع النفس الأمارة بالسّوء، والسعي إلى معالي الأمور وهي أسمى مقاصد الشريعة، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا" (الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٨هـ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي – بيروت، ج١، ص٣٨٤) وأكد ﷺ أن المسلم القويّ الذي يتّصف بالهمّة العالية، والنّفس الشريفة النّزيهة، خير وأحب إلى الله من المسلم الضّعيف، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" (الحجاج، مسلم، ١٩٥٥، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤، ص٢٠٥٢) وفي الحديث أمر بالقوّة وترك العجز، وتفويض الأمر لله، وهي قمة الإيمان، ومقصد من مقاصد أولي العزم وذوي المعالي من الأمور.

وحتى تكتمل تلك الهمّة أمر الرسول ﷺ أن يكون حبّنا له أكثر من حبّنا أنفسنا، وأكثر من حبّنا آبائنا وأمهاتنا، بل وجميع المخلوقات، فقد ورد عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنه قال للنبيّ ﷺ: " لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ"، فَقَالَ عُمَرُ: وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ ﷺ: "الْآنَ يَا عُمَرُ) "البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٩٩٣، صحيح البخاري، دار ابن كثير– دمشق، ج٦، ص٢٤٤٥ (فحب المسلمين للرسول ﷺ، وجعله من أعلى مراتب الحب، كفيل بتوجيه مقاصدهم وهمتهم إلى المعالي من الأمور.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

وقد قدّم الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين– أمثلة رائعة على الهمة العالية، والسعي إلى معالي الأمور في مختلف جوانب الحياة، سواء في العلم، أو العبادة، أو الجهاد، أو خدمة المجتمع، وهذه النماذج تعكس مدى تأثير توجيهات النبي ﷺ في حياتهم:

فقد ضرب أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– مثالًا عظيمًا في الهمة العالية والإخلاص في خدمة الدين، عندما أسلم، بدأ أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام بقوة وعزيمة، فأسلم على يديه عدد كبير من الصحابة، مثل: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وكانت لديه همّة عالية في الإنفاق في سبيل الله، فقد أنفق ماله كله في سبيل الله، عندما تبرع بماله في غزوة تبوك، فعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟" قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، "مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟" فَقَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. (أبو داود، ٢٠٠٩، سنن أبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ج٣، ص١٠٨)

ويُعد عمر بن الخطاب مثالاً رائعاً للهمة العالية والعزيمة القوية في خدمة الدين والمجتمع، وقد تجلت هذه الهمة في العديد من جوانب حياته، سواء في العبادة، أو القيادة، أو العدالة، فقد كان عمر بن الخطاب شديد الورع، والخشوع في عبادته، كان يقضي الليل في الصلاة والقيام، ويُعرف عنه أنه كان يبكي في صلاته حتى تبتل لحيته؛ خوفاً من الله وطلباً لرحمته، وكان صواماً قواماً، يصوم النهار ويقوم الليل، كما كان سخيًّا في الصدقة، ينفق من ماله الخاص في سبيل الله، ويحرص على مساعدة الفقراء والمحتاجين.

وقد اشتهر عمر بن الخطّاب بهمّته في تحقيق العدل والإنصاف، وكان يُلقب بالفاروق؛لأنه فرق بين الحق والباطل، كان يتفقد أحوال الناس بنفسه، ويجلس للقضاء بينهم، وكان لا يميز في العدل بين غني، وفقير، أو قوي، وضعيف، وعند توليه الخلافة، أظهر عمر حسًّا عالياً بالمسؤولية، كان يقول: "لو أن جملا أو قال شاة أو قال حملا، هلك بشط الفرات، لخشيت أن يسألني الله عنه" (القرطبي، ابن رشد، ١٩٨٨ م، البيان والتحصيل، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ج١٨، ص٣٩٨)

ويعد علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– أحد أعظم الشخصيات في الإسلام، ويعد مثالاً للهمة العالية والعزيمة القوية في مختلف مجالات الحياة، كان قريبًا من النبي ﷺ، وشارك في العديد من الأحداث المهمّة في صدر الإسلام، وقد تجلّت همته العالية في جوانب عدة من حياته، سواء في العلم، أو العبادة، أو الشجاعة، أو القيادة، فقد كان علي

بن أبي طالب شديد التقوى والورع، كان يقوم الليل ويصوم النهار، ويحرص على العبادة بكل جوانبها. كان يقول: "من أراد عزًا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا مال، فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته"، وكان من أعلم الصحابة وأحكمهم، وكان من أشجع الصحابة، كان مستعداً للتضحية بنفسه في سبيل الله وفي سبيل حماية النبي ﷺ ليلة الهجرة، نام في فراش النبي مخاطراً بحياته ليغطي على خروج النبي من مكة، وقد شارك في جميع الغزوات مع النبي ﷺ وأبلى بلاءً حسنًا، في غزوة بدر، كان من أوائل من تصدى للقتال، وفي غزوة خيبر، فتح حصن اليهود بيده بعدما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ" (النسائي، أحمد، ٢٠٠١، السنن الكبرى، مؤسسة الرسالة – بيروت، ج٧، ص٤١١)

خلاصة القول إنّ النبي ﷺ كان يدرك أهميّة الهمّة العالية، والسعي إلى معالي الأمور في بناء مجتمع قوي ومتقدّم؛ لذلك، كان يوجّه أصحابه والمسلمين عمومًا نحو الاجتهاد، والطموح في كل مجالات الحياة، سواء كانت دينية، أو دنيوية، وهذه التوجيهات النبويّة لا تزال تلهم المسلمين حتى اليوم للسعي نحو الأفضل والتميز في حياتهم.

المطلب الثاني: ترسيخ العقيدة لتربية السلوك

لعل المتأمّل لحياة العرب قبل الإسلام يدرك بما لا يدع مجالًا للشكّ ظهور عادات ومفاهيم وقيم لا تستقيم مع الفطرة المودعة في النفس البشريّة؛ قال تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ. وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الأعراف: [١٧٢:١٧٤]

إن أول أمر حاز عناية النبيّ ﷺ في بداية الدعوة هي ترسيخ العقيدة، إذ صعد على جبل الصّفا، ونادى خطيبًا في قومه وعشيرته المقربين، قائلًا:" أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)."البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ج٤، ١٧٨٧)

إنّه المهمّة الأساسيّة التي بعثه الله بها وهي تخليصهم من عبادة غير الله، وتحرير النّفس ووضعها في مسارها الصحيح الذي فطرها الله عليها؛ لذلك تراه يركز على أسس العقيدة المتمثّلة بالإيمان بالله، ورسوله، واليوم الآخر، في خطبته ﷺ: "الحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ، وَأُؤْمِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.ثم قال: "إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللَّهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

غَرَرْتُكُمْ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللَّهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوْنَّ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ لَنَارٌ أَبَدًا" (الخطيب، محمد، ١٩٨٣م، خطب الرسول، دار الفضيلة، ص٩) ومن هنا يؤكّد النبي ﷺ أنّ الإسلام عقيدة وشريعة، إيمان ثمّ عمل، فلسيت الشريعة نصوصا تحفظ بل واقعا سلوكيّا عمليّا تظهر آثاره على حياة المسلم وسلوكه.

إنّ العقيدة الإسلامية هي الأساس في كيان الأمّة الإسلاميّة ودورها الحضاريّ، وهي الدرع الواقي الذي كفل لها الصمود في مواجهة التحديات بشتى صنوفها على مر الزّمان، تلك العقيدة التي أعطت معنى للحياة عند أصحابها، وصانتهم من الحيرة والقلق والضّياع.

ولا ريب أنّ سلوكيات الإنسان وأعماله في هذه الحياة شكل ومظهر من مظاهر عقيدته المستمرّة في حياته اليوميّة، فإن حسنت عقيدة المرء حسن سلوكه، واستقام أمره، وإن اعوجّت عقيدته، اعوجّ أمره، وفسدت حياته؛ ومن هنا كان الإيمان المبنيّ على عقيدة راسخة أمرًا لا غنى عنه لأي مسلم؛ ليستكمل شخصيته المتكاملة، ومن ثَمّ كان حرص النبيّ ﷺ على ترسيخ العقيدة لتهذيب سلوك المرء، فكان أول أمر قام به في الدعوة إلى الإسلام هو الدعوة إلى التوحيد؛ ليكون حجر الأساس لبناء المسلم الحق.

وقد اتبع النبي ﷺ منهجية متكاملة لترسيخ العقيدة في قلوب أصحابه، وتربية سلوكهم بناءً على هذه العقيدة، هذا المنهج شمل التعليم، والتوجيه العملي، التدرج في التشريع، وإزالة الشبهات، وربط الإيمان بالعمل، فقد حرص النبيّ ﷺ على تعليم أصحابه أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب السماوية، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكان النبيّ ﷺ دائمًا يبدأ بالدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، كما في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فأجابه بتفصيل هذه الأركان.

ولأنّ القرآن هو المصدر الرئيس للعقيدة الإسلامية، كان النبي ﷺ يتلو القرآن على أصحابه ويعلمهم تفسيره ومعانيه، ويطلب منهم أن يتدبروا الآيات ويعملوا بها؛ يقول الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ الإسراء: (١٠٦) ، ولكي يرسّخ العقيدة لدى المسلمين؛ لم يقتصر النبي ﷺ على التعليم النظري، بل كان يوجه أصحابه للممارسة العملية لما يتعلمونه، كان يحثهم على الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وغيرها من أركان الإسلام، وكان يجسد تعاليم الإسلام في حياته اليومية. كان يقوم الليل، ويصوم النوافل، ويتصدق، ويعطف على الفقراء، ويتعامل مع الناس بأخلاق حسنة. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب: [٢١].

ولتقوية العقيدة وترسيخها في قلوب المؤمنين استعمل النبي ﷺ أسلوب التدرّج في تعليم الأحكام الشرعية، مما سهل على الصحابة تقبلها وتطبيقها، على سبيل المثال، تحريم الخمر جاء على مراحل، مما ساعد الصحابة على الابتعاد عنه تدريجياً وترسيخ الإيمان في قلوبهم، كذلك كان النبي ﷺ يجيب عن تساؤلات الصحابة، ويزيل الشبهات التي قد تطرأ على أذهانهم، لكي يثبت إيمانهم، ويزيل الشكوك، كان يستمع لهم ،ويقدم الإجابات المستندة إلى الوحي والعقل. ومن أجل تعزيز اليقين في قلوب الصحابة كان النبي ﷺ يربّيهم على الصبر في مواجهة المصاعب والابتلاءات، ويذكرهم بأجر الصابرين، وثوابهم عند الله، قال الله تعالى: "وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ" (البقرة: ١٥٥)، وكان ﷺ يستعمل القصص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين عاقبة المؤمنين وأجرهم في الدنيا والآخرة، وكان ﷺ يشجع على العمل الصالح ويبين أثره في تقوية الإيمان. كان يقول: " إِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ" (الحجاج، مسلم،١٩٥٥، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص٦٣)

وكان النبي يربط بين الإيمان والعمل الصالح، ويؤكد أن الإيمان يجب أن يظهر في السلوك والأفعال، وليس مجرد اعتقاد بالقلب. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ العصر : [٣].

ومما سبق يتّضح أنّ النبي ﷺ استعمل منهجية شاملة لترسيخ العقيدة، وتربية السلوك لدى أصحابه، عن طريق التعليم والتوجيه العملي، فضلا عن التدرج في التشريع، ومعالجة الأخطاء بالحكمة، وتعزيز الروابط الإيمانية والجماعية، استطاع النبي أن يبني مجتمعاً إسلامياً قوياً ومتماسكاً. هذه المنهجية لا تزال تلهم المسلمين حتى اليوم في كيفية تعليم وتربية الأجيال الجديدة على أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة والسلوك القويم.

المطلب الثالث: أسلوب التعريض والتلميح دون التصريح

والمقصود بذلك إيصال الفكرة بطريقة غير مباشرة، وتوجيه النّصح من دون إحراج المنصوح، ويعدّ من الأساليب التربويّة غير المباشرة، وهي أشدّ تأثيرًا من التّوجيه الصّريح المباشر، وشاهد هذا من القرآن حينما نزلت سورة العصر، قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر:[١:٣] فجاءت هذه السورة تبشّره بالفتح، ودخول الناس في الإسلام كافّة، وتوجّه النبيَّ ﷺ إلى حمد الله واستغفاره، وفيها تلميح بدنوّ أجله ﷺ، كما روت أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– قالت: كان النبيّ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي". (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ، دار ابن كثير– دمشق، ج١، ص٢٧٤)

وقد كان النبيّ ﷺ حريصًا على مراعاة مشاعر أصحابه ونفسيّاتهم، إمّا لحساسية موقفهم أو لإرادة أن يستر عليهم فلا يفضح فعلتهم، وكان كثيرًا ما يلمح بهذا الأسلوب النبويّ الشّريف بقوله: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ" (ابن حنبل، أحمد، ١٩٩٩م، كتاب الزهد، ت: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج١٨، ص١٣٦) إشارة منه ﷺ إلى الذين وقعوا في أخطاء، فأراد توجيههم بالتلميح دون جرح مشاعرهم؛ ومن ذلك حينما قام النبيّ ﷺ خطيبًا، قوله: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ" (النسائي، أحمد، ١٩٣٠، سنن النسائي، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ج٣، ص١٠١١) فالنبيّ ﷺ لم يخصص أسامة بن زيد حينما أراد أن يشفع للمخزوميّة التي سرقت، وإنما ساق التحذير بوجه عام، من باب التلميح لا التصريح.

وعندما يرى النبيّ ﷺ أخطاءً في سلوك صحابته يسارع إلى تصحيح ذلك الخطأ تلميحًا لا تصريحًا حفاظًا على مشاعرهم، وتجنبًا لفضحهم على الملأ، فذلك أجدى لهم أن يرعووا؛ منها حينما توجه ﷺ إلى المتجاوزين الذي يأخذ ما ليس من حقهم من الغنائم قبل تقسيمها، قال ﷺ في ذلك: "لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تُخَفِّقُ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، دار ابن كثير– دمشق، ج١، ص١١١٨) ومنها تحذيره لجامعي الزكاة: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ؟ "(البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، دار ابن كثير– دمشق، ج٦، ص٢٥٥٩).

ومما سبق يتبيّن أنّ النبيّ ﷺ كان يعمد إلى عدم التصريح من دون أن يذكر فاعله، وهذا من أدبه ﷺ حتى لا يحرج الصحابة بتعيين أسمائهم حينما يكون الأمر غير محمود، وكثيرًا ما كان يكرر في خطبته: "ما بال عامل أبعثه ..." أو يقول: "ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله" أي يشترطون شروطًا لا توافق شرع الله، إما بزيادة أو نقصان،

فإن كانت هذه الشروط ليست في كتاب الله فهي باطلة، ومردودة على صاحبها، ولا يحكم له فيها، وإن كانت ضمن عقد من العقود، فكتاب الله وسنة رسوله أحق أن تقدم على غيرهما من الشروط التي تعارضه.

المطلب الرابع: الإصلاح العملي لسلوك غير سوي

لقد تميّز منهج النبيّ ﷺ في إصلاح سلوك الفرد المسلم، بجملة من السمات التي تدل على طبيعة الإسلام كمنهج متكامل، وقد حرص النبيّ المعلم والمربي على تعديل أنماط السلوك السلبيّة؛ فنهى تعليق التميمة؛ إذ إنها تتعارض مع التوحيد الخالص؛ فعن عقبة بن عامر الجهنيّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً، وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً، وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: "مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً، فَقَدْ أَشْرَكَ" (ابن حنبل، أحمد، 2001، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ج٢٨، ص٦٢٤) كما أسرع النبيّ إلى تعديل سلوك رجل أشعث دخل المسجد، وهو واقف يخطب النّاس على المنبر؛ حيث ابتدره ﷺ قائلًا: " أَصَلَّيْتَ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "قُمْ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، دار ابن كثير – دمشق، ج١، ص٣١٥).

وكان من دأب النبيّ ﷺ أن يهذّب كل سلوك يتنافى مع قيم الإسلام وأخلاقه، ومن ذلك ما أخبرنا به عبد الله بن عبّاس –رضي الله عنهما– قال: أَرْدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ خَلْفَهُ عَلَى عُجْزِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ لِلنَّاسِ يُفْتِيهِمْ، وَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ مُضِيئَةٌ، تَسْتَفْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَأَعْجَبَهُ حُسْنُهَا، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَالْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ، فَأَخَذَ بِذَقَنِ الْفَضْلِ، فَعَدَّلَ وَجْهَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا". (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، دار ابن كثير – دمشق، ج٢، ص١١١١)

وقد استدلّ النبيّ على السلوك الضارّ من ملاحظة ما ظهر من آثاره على الشخص؛ فقد نهى ﷺ عن الإفراط في الطّعام؛ فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "كُفَّ جُشَاءَكَ عَنَّا، فَإِنَّ أَطْوَلَكُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُكُمْ شَبَعًا فِي دَارِ الدُّنْيَا" (القزويني، ابن ماجة، ٢٠٠٩، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية، ج٢، ص١١١١) وكان من هديه تهذيب سلوكيات النّاس في الطّعام والشراب؛ حتى لا تصير عادة ثابتة يصعب عليهم تغييرها، ومن الشواهد على ذلك تقويمه لسلوك عمر بن أبي سلمة؛ حينما كان صبيًّا يأكل معه، ويده تطيش في الصّحفة؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: "كُنْتُ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: "يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" (الحجاج، مسلم، ١٩٥٥، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص١٥٩٩) وما روى ابن جرهد، عن أبيه، أنّ النبيّ ﷺ مرّ به، وهو كاشفٌ عن فخذه، فقال النبيّ ﷺ: "غَطِّ فَخِذَكَ؛ فَإِنَّهَا مِنَ العَوْرَةِ" (الترمذي، أبو عيسى محمد، ١٩٧٥، سنن الترمذي، مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط١، ص١١١)

كما هرع إلى تقويم سلوك جماعة من الصحابة روّعوا أخاهم وهو نائم، فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنّهم كانوا يسيرون مع النبيّ ﷺ فنام رجل، فانطلق بعضهم إلى حبل معه، فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا" (أبو داود، سليمان بن الأشعث، ١٩٥٠، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ج٤، ص٣٠١) فما كان النبيّ يلاحظ أيّ تصرّف غير مهذّب إلا سارع بتعديله؛ درءًا للمفاسد المترتّبة عليه، فقد روي عن ابن الزهراويّة، قال: كنّا مع عبدالله بن بسر صاحب النبيّ ﷺ، يوم الجمعة، فجاء رجل يتخطى رقاب النّاس يوم الجمعة، والنبيّ يخطب، فقال له النبيّ ﷺ: "اجْلِسْ، فَقَدْ آذَيْتَ" ((أبو داود، سليمان بن الأشعث، ١٩٥٠، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ج٢، ص٢٨٢) وكان يوجّه الشباب إلى ما يمنعهم من الوقوع في السّلوك المحرّم، كما في قوله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ". (الحجاج، مسلم، ١٩٥٥، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢، ص١٠١٩)

كان النبيّ ﷺ يطوف الأسواق يراقبها حماية للمستهلكين من التجار ضعاف النفوس، فيمر على بائع الطّعام وقد أصابه بلل؛ وهنا يوجه النبيّ المربّي الحكيم كلامه لصاحب الطعام قائلًا: " مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟" (سُؤَالٌ تَعَجُّبِيّ)، فَأَجَابَ صَاحِبُ الطَّعَامِ قَائِلًا: "أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ"، فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مُخَاطِبًا: "فَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ؛ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟" (الحجاج، مسلم، ١٩٥٥، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص٩٩) أي تعرضه بالحالة التي هو عليها، لا أن تجعل المبتل أسفل الطّعام وتضع الجافّ في الأعلى، فهذا الحوار بين البائع والنبيّ ﷺ يضع التوجيه اللازم لسلوك المسلم الملتزم، فيقول ﷺ: "من غشّ فليس منّا" لتكون قانونًا لمكافحة الغش بكل أنواعه مهما كان صغيرًا أو كبيرًا، وفي كل مناحي الحياة .

المطلب الخامس: الحوار المقنع

إنّ الحوار مبدأ أصيل في مبادئ الدعوة، ولذلك عدّه القرآن الكريم أفضل لإقناع من يخالفك في الرأي والاعتقاد؛ ويراد بالحوار هنا مناقشة بين طرفين مختلفين، وعلى كل طرف

أن يظهر حجته، ويثبت الحق الذي يريد أن يقنع النّاس به، والله –عزّ وجل– خلق النّاس متباينين في الفهم والتفكير؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ هود: [١١٨]

ومن هنا يلزمنا الإسلام باستعمال مبدأ الحوار بالحسنى، وإعطاء الدليل المبنيّ على الصّدق، وكثيرًا ما خاطب الكافرين بالتبصر والتعقّل مع إعطائهم الدليل؛ ثم يطلب منهم البرهان والدليل ليدحض ادّعاءاتهم؛ قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ النمل: [٦٤]، فهذه العبارة (هاتوا برهانكم) أرست أسس الحوار القائم على المنهج السّليم، فحين نتكلم في ديننا مع الآخرين يجب اتّباع هذا المنهج القرآنيّ الكريم، وهذا ما فعله النبيّ حين استعمل الحوار في الدّعوة مع غير المسلمين.

لقد كان الحوار المقنع البنّاء من أهم أساليب الدعوة لدى النبيّ ﷺ، حتى أن النبيّ ﷺ كان يطلب من مشركي مكة أن يخلوا بينه وبين النّاس، يدعوهم ويتحاور معهم حول ما أرسله الله به، فمن شاء أن يؤمن فليؤمن ومن شاء أن يكفر فليكفر، فلم يكن النبيّ ﷺ قلقًا بشأن الحوار مع النّاس وإقناعهم بالدخول إلى الإسلام؛ لأنه يعلم أنّه على الحق المبين، وإنما الخوف القلق كان من جانب المشركين؛ لأنهم يعرفون صدق دعوتهم، وما تركوا الدخول فيها إلا استكبارًا، وغمطًا للحق الأبلج.

واتّخذ النبيّ الحوار مفتاحًا للتواصل، ووسيلة ناجعة لإقناع المخالف وتبليغ الدّعوة؛ فقد أمر الله نبيّه بذلك؛ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل [١٢٥]، ومن هنا كان النبيّ ﷺ يتواضع لمحاوريه، فيقبل عليهم، وينصت إليهم، فلا يقاطعهم أو ينشغل عنهم، لقد كان يحاور أصحابه ويستشيرهم، وينزل كثيرًا عن رأيه إلى رأيهم ولاسيما إذا كان الأمر غير متّعلق بالشرائع والأحكام.

وقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يثير في أصحابه القوى العقليّة الكامنة، فيقدح فطنتهم لاستقبال الموعظة حين يسوقها لهم في قالب من الإقناع والمحاجاة، يتضح ذلك من الحوار الآتي بين النبيّ وصحابته حين بادر بسؤاله الآتي: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟" قَالُوا: "لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ"، فَقَالَ ﷺ: "فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا". (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ابن كثير– دمشق، ج١، ص١٩٧)

والحوار المقنع يجعل المخطئ يغيّر سلوكه السّلبيّ، ويدفعه إلى الاستقامة، فقد استعمله النبيّ ﷺ مع شابٍّ جاء إلى النبيّ ﷺ يطلب منه الإذن بفعل الفاحشة، فقدْ روى أبو أُمَامَةَ –

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي بِالزِّنَا؟" فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: "مَهْ مَهْ!" فَقَالَ: "ادْنُهْ"، فَدَنَا قَرِيبًا مِنْهُ، فَقَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: "لَا، وَجَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ". قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" فَقَالَ: "لَا، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ". قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" فَقَالَ: "لَا، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ". قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" فَقَالَ: "لَا، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ". قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" فَقَالَ: "لَا، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ". قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ". فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. (ابن حنبل، أحمد، 2001، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ج٣٦، ص٥٤٥)

كما ضرب لنا ﷺ أروع المثل في توكيد أدب الحوار وصولًا إلى الحق؛ ومن ذلك الحوار الراقي الذي بينه ﷺ وبين رجل من عامّة المسلمين في أمر جلل وساعة حاسمة، حين اجتمع المسلمون للقاء المشركين في بدر؛ حين نزلوا في غزوة بدر منزلًا، وكان بئر الماء أقرب للمشركين، فجاء الصحابيّ الحباب بن المنذر فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: "أَهُوَ مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَ اللَّهُ أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟" فَقَالَ ﷺ: "بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَة". فَقَالَ الْحُبَابُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا بِمَنْزِل" (ابن حبان، أبو حاتم محمد، ١٩٨٧، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، الكتب الثقافية-بيروت، ج١، ص١٦٦) وقدم رأياً آخر بأن يجعل المسلمون آبار المياه في بدر خلفهم، فلا يستطيع المشركون الوصول إليها، فيشرب المسلمون، ولا يشرب الكفار، فاستحسن ﷺ هذا الرأي، وأخذ به فكان واحدًا من أسباب النصر في غزوة بدر الكبرى، ومن يظهر أثر الحوار المقنع، في أخذ النبيّ برأي الحباب، مع عدم استئثاره بالقرار.

وحينما أراد الخليفة عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- أن يحدّد المهور، لما رآه من مغالاة النّاس فيها في إحدى خطبه، فقامت إليه امرأة من عامّة النّاس وأنكرت عليه ذلك، واستشهدت بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ النساء: [٢٠]، بهذا الحوار المقنع لم يجد عمر بن الخطّاب بُدًّا من أن ينزل على رأيها ويقول: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

المطلب السادس: الإلزام بوازع الدين:

إن للوازع الدينيّ أثره الكبير في حياة الأفراد والمجتمعات، وقد حرص النبيّ على تربية الوازع الديني وتأصيله لدى المسلمين، بأن ينأى المؤمن بنفسه عن الشبهات، ويصون نفسه من الوقوع في المحرمات، فتحت ستار إرضاء الضمير قد تحدث بعض المخالفات أو التقصير في الواجب، ويحاول البعض أن يقنع الآخرين بأنّه أرضى ضميره، مفسّرًا الأمور

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

على وفق الهوى، وحين يتخذ المرء الهوى سبيلًا لعقله فسوف يضل عن جادّة الطّريق القويم؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: [١٨]، ووازع الدين تربية للعقيدة، وفي ظله يصلح القلب، وهو محل النيّة، التي تبعث على الأعمال الصالحة على وفق الشرع الحنيف؛ قال رسول الله ﷺ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ". (ابن حنبل، أحمد، 2001، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ج٢٩، ص١٧٩) وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: "اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ" (ابن حنبل، أحمد، 2001 ، مسند أحمد، مؤسسة الرسالة، ج٢٩، ص٥٣٣) ومن هنا ينبغي على المسلم مراقبة الله، فلا يكون ممن يستخفون من الناس ويخشونهم؛ حتى لا ينكرون عليهم أعمالهم، وفي الوقت نفسه لا يستخفون من الله؛ قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ النساء: [١٠٨]، ففي ظل الوازع الديني يراقب المسلم ربّه في جميع أعماله سرًّا وجهرًا، لا يعنيهم رضي النّاس عنه أم سخطوا؛ إنّما يعنيه رضا الله وحده، فيسارع لفعل كل مكرمة ترضي ربّه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: [١٠٥]

ولا شكّ أن الإيمان بالله وباليوم الآخر وما فيه من جزاء وحساب، هو الطريق الذي يحفّز المؤمن على التقوى، ويقيه من مصارع السوء، فإذا ضعف الوازع الديني قويت لدى المرء نوازع الشر فغلبته الشهوات، ووقع في المحرّمات ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبيّ ﷺ " لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، دار ابن كثير– دمشق،ج٦، ص٢٤٩٧) فالرّقابة الشخصيّة والشعور بالإثم حيال أمر فعلته أو ستفعله، هو ما يطلق عليه يقظة الضمير؛ وهو العاصم بعد الله تعالى من الوقوع في الذنب أو التمادي فيه.

ومنه أنّ المؤمن إذا أكثر فعل الذنب وإن كان صغيرًا فإنّه يألفه، ومع مرور الزمن وتوالي الأجيال يضعف الوازع الديني لدى الكثيرين، وتصير الذنوب مألوفة لا يتمعّر له وجه المؤمن، ويؤكّد هذا قول أنس –رضي الله عنه–: "إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ". (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، دار ابن كثير– دمشق، ج٥، ص٣٨١)

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

ومن أجل تقوية الوازع الديني، خطب ﷺ النبيّ خطبة نهى فيها عن الهدايا التي يتلقاها العمّال الذين يستعملهم على جمع الزكاة أو الصدقات، وفيها حثٌّ على مراقبة الله حينما يستفيد المرء من عمل ما هو مكلّف به، فقد اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، فَقَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا؟" ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ، مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ؟" (البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ج٦، ص٢٥٥٩).

عن طريق هذه الأساليب المتنوعة والشاملة، استطاع النبي ﷺ أن يبني جيلًا من الصحابة كان له دور كبير في نشر الإسلام وبناء حضارة عظيمة، وكان منهجه التربوي لا يزال أنموذجًا يحتذى به في التعليم والتربية حتى اليوم.

الخاتمة

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. القيم الإسلامية تشكل الأساس الذي يوجه السلوك الإنساني نحو الخير، ويحقق التوازن والاستقرار في المجتمع.
٢. تمتاز القيم الإسلاميّة بالشمولية، والربانية، والملاءمة للفطرة، والتوازن بين الروح والجسد، والواقعية والإيجابية.
٣. جسّد النبي ﷺ القيم الإسلامية في سلوكه اليومي، واعتمد القدوة الحسنة أسلوبا فاعلا في التربية والتعليم.
٤. استعمل النبي ﷺ أساليب التلميح بدلاً من التصريح، والحوار المقنع، والإصلاح العملي للسلوك، والتدرج في التشريع لترسيخ القيم والعقيدة.
٥. تساهم القيم الإسلامية التي رسخها النبيّ ﷺ في بناء أفراد يتمتعون بالاستقامة والثقة بالنفس، ومجتمع متماسك قائم على العدل والخير.
٦. تعزز تلك الأساليب التربوية النبويّة الوازع الديني والرقابة الذاتية لدى المسلمين.

التوصيات:

١. تعزيز القدوة الحسنة للنبي ﷺ عبر المناهج التعليمية بوزارة التربية والتعليم.
٢. قيام وزارة الشباب والرياضة بتطبيق الأنشطة والفعاليات والمعسكرات التي تطبّق القيم الإسلامية اليومية في حياة الشباب.

٣. قيام الكليات والمعاهد المعنيّة بإعداد المعلمين وتدريبهم على استعمال الحوار البناء والتلميح أدوات فاعلة للتوجيه والإقناع.

بيان دور الوازع الديني في خطب الجمعة في ضبط السلوك وتعزيز الرقابة الذاتية لدى الأفراد.

٤. إحياء السلوكيات النبوية في المجتمع عبر مبادرات توعوية ووسائل الإعلام لتعزيز القيم الإسلامية.

٥. تشجيع البحوث والدراسات التربوية المستوحاة من منهج النبي ﷺ لدعم التربية والتعليم.

٦. إنتاج مواد تعليمية وإعلامية مبتكرة لتسليط الضوء على القيم النبوية ونشرها بشكل جذاب.

المراجع:

القرآن الكريم

ابن حنبل، أحمد ٢٠٠١م، مسند أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١.

ابن عبد ربه، ١٤٠٤هـ، العقد الفريد، دار الكتب العلمية– بيروت، ط١،

ابن ماجة، محمد، ٢٠٠٩م، سنن ابن ماجه، ت: الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١.

ابن منظور، ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر، ط٣.

أبو العنين، خليل، ١٩٨٨، القيم الإسلامية والتربية، دار الفكر العربي.

أبو داود، سليمان، ١٩٥٠، سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط٢.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، ت: المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٨هـ، ط١.

بانبيلة، حسين،(٢٠١٧) بعض القيم والأساليب التربوية المستنبطة من خطب المصطفي ﷺ، رسالة ماجستير، كلية التربية بمكة المكرمة الدراسات العليا، جامعة أم القرى.

البخاري، إسماعيل، ١٩٩٣م، صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير– دمشق، ط١.

الترمذي، محمد، ١٩٧٥م، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخران، مطبعة مصطفى الحلبي – مصر، ط١.

الخطيب، محمد، ١٩٨٣م، خطب الرسول، ، دار الفضيلة، الرياض.

زهران، حامد،١٩٨٤م، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ط٥.

الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة– بيروت.

المانع، صالح، ٢٠٠٥، القيم بين الإسلام والغرب ، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، ط١.

المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ت: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط١.

الحجاج، مسلم،1955 ، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

النسائي، ٢٠٠١أحمد بن شعيب ، السنن الكبرى، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١.

النسائي، أحمد، ١٩٣٠، سنن النسائي، صححها: جماعة، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ط١.

الهاشمي، عبد الحميد، ٢٠٠٧م، المرشد في علم النفس الاجتماعي، دار ومكتبة الهلال

References

The Holy Qur'an

Ibn Hanbal, Ahmad, 2001 CE, Musnad Ahmad, trans. Shu'ayb al-Arna'ut - Adel Murshid, et al., Al-Risala Foundation, 1st ed.

Ibn Abd Rabbih, 1404 AH, Al-'Iqd al-Farid, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.

Ibn Majah, Muhammad, 2009 CE, Sunan Ibn Majah, trans. al-Arna'ut, Dar al-Risala al-'Alamiyyah, 1st ed.

Ibn Manzur, 1414 AH, Lisan al-'Arab, Dar Sadir, 3rd ed.

Abu al-'Anein, Khalil, 1988, Islamic Values and Education, Dar al-Fikr al-'Arabi.

Abu Dawud, Sulayman, 1950, Sunan Abi Dawud, trans. Muhammad Muhyi al-Din 'Abd al-Hamid, Al-Maktaba al-Asriya, Sidon, Beirut, 2nd ed.

Albani, Muhammad Nasir al-Din, Sahih al-Jami' al-Saghir wa Ziyadatuhu, trans. al-Maktab al-Islami, Beirut, 1408 AH, 1st ed.

Banbila, Hussein, (2017), Some Values and Educational Methods Derived from the Sermons of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him), Master's Thesis, College of Education, Makkah, Graduate Studies, Umm Al-Qura University.

Bukhari, Ismail, 1993, Sahih Al-Bukhari, trans. Mustafa Deeb Al-Bugha, Dar Ibn Kathir, Damascus, 1st ed.

Tirmidhi, Muhammad, 1975, Sunan Al-Tirmidhi, edited by Ahmad Muhammad Shaker and others, Mustafa Al-Halabi Press, Egypt, 1st ed.

Al-Khatib, Muhammad, 1983, Sermons of the Messenger, Dar Al-Fadhila, Riyadh.

Zahran, Hamid, 1984, Social Psychology, Alam Al-Kutub, Cairo, 5th ed.

Al-Ghazali, Abu Hamid, Revival of the Religious Sciences, Dar Al-Ma'rifa, Beirut.

Al-Manea, Saleh, 2005, Values between Islam and the West, Dar Al-Fadhila, Riyadh, Saudi Arabia, 1st ed.

Al-Muttaqi al-Hindi, Kanz al-Ummal fi Sunan al-Aqwal wa al-Af'al, trans. Bakri Hayyani - Safwat al-Saqa, Al-Risala Foundation, 1st ed.

Al-Hajjaj, Muslim, 1955, Sahih Muslim, edited by Muhammad Fu'ad Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut.

Al-Nasa'i, 2001, Ahmad ibn Shu'ayb, Sunan al-Kubra, edited by Hasan Abd al-Mun'im Shalabi, Al-Risala Foundation, Beirut, 1st ed.

Al-Nasa'i, Ahmad, 1930, Sunan al-Nasa'i, authenticated by a group, Al-Maktaba al-Tijariyya al-Kubra, Cairo, 1st ed.

Al-Hashemi, Abd al-Hamid, 2007, A Guide to Social Psychology, Dar and Library al-Hilal